علم اجتماع دون سند نظري أو بالأحرى استراتيجيّة نظريّة قد يسقط في التجريبي والتقنية واللّغة الكميّة

صحيح أنَّ السوسيولوجيا المغربيّة طغت عليها التخصّصات التي ذكرت من السوسيولوجيا القرويّة والسوسيولوجيا الحضريّة والسوسيولوجيا السياسيّة... إلخ، ولعلّ الحال يعود إلى حالة العالم العربي، ومنه المغرب، الذي كان يحاول الإجابة عن الأسئلة الكبرى والقضايا الكبرى، التي ظلّ منشغلاً بها فترة طويلة ما بعد الاستقلال الوطني عن النفوذ الأجنبي... ومن ثمّ وجدت نفسي أمام تخصّص فريد تزكّيه ميولاتي الأدبيّة منذ مرحلة التعليم التأهيلي الثانوي، أقصد منذ اليفاعة والشباب... إلى أوّل بحث في السوسيولوجيا، أقصد بحث الإجازة الذي تناولت فيه سوسيولوجيا الجمعيّات الثقافيّة.

وقد راكمت عناوين كثيرة كما يدلّ على ذلك سجلّي السوسيولوجي، وبطبيعة الحال ليس من السهل أن يقوم الباحث بمساهمات مفردة في غياب جاذبيّة سوسيولوجيا الثقافة من طرف آخرين، ولغياب سياسة هادفة واستراتيجيّة للبحث العلمي، وعلى رأسها البحث في «المسألة الثقافيّة» بما تزخر به من أشكلة وأنظار، وهي في قلب مشغوليّات الدولة والمجتمع... لأنَّ السؤال الثقافي هو مفتاح مجمل الأسئلة ولا يمكن تجاوزه أو القفز على مقتضياته.

*** ما هي المرجعيّات السوسيو- نقديّة التي استندتم إليها في تفكيك وخلخلة إشكاليّة المثقف؟ وكيف تأتّى لكم نحت بعض المفاهيم على غرار التراكم الثقافي، المثقف المشاكس، الثورات التأسيسانيّة، وغيرها من المفاهيم الأخرى التي تدخل في إطار سوسيولوجيا الشباب والهامش والمنع والكتابة؟**

لا شكّ أنّي رجعت إلى المرجعيّات «الكلاسيكيّة» من أجل التفكيك؛ فمقولة المثقف العضوي (الكاتب الإيطالي غرامشي) والمثقف الملتزم للفيلسوف الفرنسي (جون بول سارتر) إلى مقولة نهاية المثقف لريجيس دوبري، حيث لم أنتصر لأطروحة البداية (المثقف